# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(١ كورنثوس ١٥: ١-١١)

يا إخوةُ أعرِّفكُم بالإنجيل الذي بشَّرتكم به وقبلتموهُ وأنتم قائمون فيه* وبه أيضاً تَخلُصون بأيِّ كلامٍ بشَّرتكُم بهِ إن كنتم تذكرون إلاَّ أن تكونوا قد آمنتُم باطلاً* فإنّي قد سلَّمتُ إليكم أولاً ما تسلّمتُهُ أنَّ المسيحَ ماتَ من أجل خطايانا على ما في الكتب* وأنَّه قُبِرَ وأنَّه قامَ في اليوم الثالثِ على ما في الكتب* وأنَّه تراءى لصفا ثم للإثني عشَر* ثم تراءى لأكثرَ من خمس مئةِ أخٍ دفعةً واحدةً أكثَرهُم باقٍ إلى الآنَ وبعضُهم قد رقدوا* ثم تراءى ليعقوبَ ثم لجميع الرسل* وآخِرَ الكلِّ تراءى لي أنا أيضاً كأنَّه للسِّقط* لأنّي أنا أصغَرُ الرسُلِ ولستُ أهلاً لأن أُسمَّى رسولاً لأنّي اضطهدتُ كنيسةَ الله* لكنّي بنعمةِ اللهِ أنا ما أنا. ونعمتُهُ المعطاةُ لي لم تكن باطِلةً بل تعبتُ أكثرَ من جميعهم. ولكن لا أنا بل

**العدد ٢٠٠٧/٣٣**

**الأحد ١٩ آب**

**تذكار القديس الشهيد اندراوس القائد والمستشهدين معه وهم ألفان وخمسماية وثلاثة وتسعون**

**اللحن الثالث**

## حول الرسالة

يُشكِّل المقطع الذي يُتلى على مسامعنا اليوم مطلع الإصحاح الخامس عشر من رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس. فحوى هذا الإصحاح دفاع عن قيامة الأموات يواجه به بولس بعض الشكوك التي ظهرت في كنيسة كورنثوس حيال هذه المسألة. ويؤكّد الرسول، في هذا السياق، أنّ العلامة الفعليّة على يقينيّة حدوث قيامة الموتى التي ستجري في اليوم الأخير إنما هي قيامة يسوع من بين الأموات. من هنا، فإنّ قيامة يسوع تتمتّع بأهميّة مركزيّة في البشارة الرسوليّة التي استتبعت إيمان الكورنثيين: «إن لم يكنِ المسيحُ قد قامَ فباطِلةٌ كِرازتنا وباطِلٌ أيضاً إيمانكم» (١كور١٥:١٤). في هذا السياق، يصبح من الواضح سببُ استهلال بولس الإصحاح الخامس عشر من رسالته بالتأكيد على تاريخيّة ظهورات يسوع الناصريّ بعد قيامته من بين الأموات، بحيث لا يُترك مجال للريب في أنّ قيامة يسوع كانت حقيقةً لا وهماً. من اللافت أنّ بولس يضع كلامه على ظهورات القائم من بين الأموات في إطار البشارة الرسوليّة ككل، كما حملها هو إلى من آمن على يديه في مدينة كورنثوس. والحقّ أنّ هذا المقطع الذي سمعناه اليوم ينطوي على أقدم قانون إيمان في تاريخ المسيحيّة، وقوامه أنّ المسيح «مات من أجل خطايانا على ما في الكتب»، وأنّه «قُبر» و«قام في اليوم الثالث» وأنّه «تراءى» لصحبه. بخلاف دساتير الإيمان اللاحقة، التي توسعت واتّخذت هيكليّةً ثلاثيّةً، وذلك انسجاماً مع الإيمان بالثالوث الآب والإبن والروح القدس (راجع متى ٢٨: ١٩)، ينحصر قانون الإيمان الذي ينقله بولس هنا بالتدبير الخلاصيّ كما حققه يسوع المسيح عبر موته وقيامته. ويشير بولس إلى إيمان الكنيسة الأولى بأنّ موت يسوع على الصليب لم يكن موتاً عادياً، بل ذو مفاعيل خلاصيّة مباشرة بالنسبة إلى المؤمنين به، فهو مات «من أجلهم» أي ليحرّرهم، بموته، من سلطان الموت والخطيئة. فضلاً عن ذلك، فإنّ هذا الموت أتى وفقاً للكتب، والمقصود أنّه كان إتماماً لكتب العهد القديم، لا لمجرّد بعض النبوءات المتضمَّنة فيها، بل لكتب العهد القديم

نعمةُ اللهِ التي معي* فسَواء كنتُ أنا أم أولئكَ هكذا نكرزُ وهكذا آمنتم.

## الإنـجيل

(متى ١٩: ١٦-٢٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ شابٌ وجثا له قائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ من الصلاحِ لتكونَ لي الحياةُ الأبديَّةُ* فقال له لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله. ولكن إن كنتَ تريدُ أن تدخلَ الحياةَ فاحفظ الوصايا* فقال له أيَّةَ وصايا. قال يسوعُ لا تقتُلْ. لا تزنِ. لا تسرقْ. لا تشهَدْ بالزور* أكرمْ أباك وأمَّك. أحبِبْ قريبَك كنفسِك* قال له الشابُّ: كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذ صبائي فماذا ينقُصُني بعدُ* قال له يسوعُ إنْ كنتَ تريد أن تكونَ كاملاً فاذهَبْ وبِعْ كلَّ شيءٍ لك وأعْطِهِ للمساكينِ فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمعَ الشابُّ هذا الكلامَ مضى حزيناً لأنَّه كان ذا مالٍ كثير* فقالَ يسوعُ لتلاميذه: الحقَّ أقولُ لكم إنَّه يعسُرُ على الغنيِّ دخولُ ملكوتِ السموات* وأيضاً أقولُ لكم

كافةً من حيث أنّها، كلّها، تعبّر عن وعد الله بخلاص يصيب البشريّة جمعاء، وذلك وفقاً لكلام الله لإبرهيم أنّ قبائل الأرض جميعها ستتبارك به (تك ١٢: ٣). عبارة «على ما في الكتب» تُفصح، إذاً، عن التواصل الذي أدركته الجماعة المسيحيّة الأولى بين عمل الله الخلاصيّ في العهد القديم وموت يسوع الناصريّ. ما معنى الإشارة إلى أنّ المسيح «قُبِر»؟ في هذا، طبعاً، تأكيد على فعليّة موت السيّد. فهذا الموت لم يكن كذبة، أو مسرحيّة، بل حقيقة لا يرقى إليها الشكّ. وأبرز دليل عليها أنّ المسيح، بعد صلبه، ووري الثرى، وحلّ في قبر. العنصر الثالث الذي يتطرّق إليه بولس هو القيامة. وهذه، أيضاً، تمّت في اليوم الثالث على ما في الكتب. إذاً، القيامة أيضاً تقع في إطار مخطّط الله الخلاصي الذي ترصده كتب العهد العتيق وتشير إليه.

برهان القيامة هو ظهور يسوع «لصفا ثم للإثني عشر». لا شكّ في أنّنا لا نتعامل، هنا، مع برهان بالمعنى العلميّ الفيزيائيّ. ولكنّ ظهور السيّد لتلاميذه علامة على أنّ الموت لم يكن صاحب الكلمة الأخيرة في قضيّته. فالله قهر الموت عبر إقامته يسوع. ويسوع، بظهوره لتلاميذه، جعل سرّ القبر الفارغ جزءاً لا يتجزّأ من حياتهم اليوميّة، فتغيّرت هذه جذريًّا وانتقلوا هم من حال الخوف والتقوقع إلى حال المبادرة. لا يتردّد بولس في أن يذكر صفا، وهو الإسم الآراميّ للرسول بطرس، بوصف الأخير الشاهد الأوّل على قيامة السيّد: «إنَّ الربَّ قامَ بالحقيقةِ وظهرَ لسمعان» (لو ٢٤: ٣٤)، يكتب لوقا الإنجيلي. هذه الأوّليّة يجب ألاّ تُفهم بالمعنى الزمنيّ. فالأناجيل تتّفق على أنّ القائم من بين الأموات خصّ بظهوراته الأولى حفنةً من النسوة اللواتي أتين القبر في أول الأسبوع، وأنّ مريم المجدليّة كانت إحداهنّ. الأوّليّة، هنا، ذات مدلول لاهوتيّ. فالمكانة الخاصة التي كان يتمتّع بها بطرس في حلقة الإثني عشر تخوّله لأن يصبح المرجع الأوّل من حيث الشهادة للقيامة، طبعاً من دون أن يعني هذا انفصاله عن الآخرين. إلاّ أن بولس، في توجّهه إلى الكورنثيين، لا يتوقف هنا، بل يشدّد على أنّ ظهورات يسوع القائم لم تكن حكراً على أقليّة مختارة، بل شملت عدداً كبيراً من البشر معظمهم ما زال حيًّا. ترائي يسوع لنحو خمس مئة أخ «دفعةً واحدةً»، ثم ليعقوب ولسائر الرسل، يطرد أيّ إمكان أن يكون هؤلاء المؤمنون بيسوع قد توهّموا قيامته أو اختلقوها إرضاءً لغايات دفينة أو نتيجةً لميول مَرَضيّة. هذه السحابة من شهود القيامة تمتدّ لتشمل بولس بدوره. فالمسيح القائم تراءى له أيضاً. غير أنّ الرسول لا يأنف من جعل نفسه «أخيراً» بين الرسل الشهود، وذلك لا بحسب المفهوم الزمني فحسب، أي لكون ظهور المسيح له على طريق دمشق تمّ لاحقاً، بل أيضاً معنويًّا، فهو، كما يقول، غير مستحقٍّ أن يُدعى رسولاً بسبب ما مارسه من اضطهاد للكنيسة قبل أن يؤمن بالمسيح. لكنّه، رغم ذلك، لا يتوانى عن الإشارة إلى تقدّمه على الرسل الآخرين، لا من حيث صدقيّة شهادته للقيامة، بل من حيث كونه تعب أكثر منهم، أي أنّه فاقهم جميعاً في جهده البشاريّ.

هذا القانون الإيمانيّ، الذي يذكّر بولس أهل كورنثوس بدعائمه، موضوع، كلّه، في خانة الانسجام بين

إنَّ مرورَ الجملِ من ثَقْبِ الإبرةِ لأسهلُ من دخولِ غنيٍّ ملكوتَ السموات* فلمَّا سمعَ تلاميذُهُ بُهتوا جدًّا وقالوا مَن يستطيعُ إذاً أن يخلَص* فنظرَ يسوعُ إليهم وقال لهم أمَّا عندَ الناسِ فلا يُستطاعُ هذا وأمَّا عند اللهِ فكلُّ شيءٍ مستطاعٌ.

## تأمل

أنت تدّعي أيها الغني بأنك تحفظ أموالك لمستقبلك ومستقبل بنيك. هذا عذر واهٍ، تدافع به عن بخلك. تتعلّل بأولادك، لكن لا تنسَ بأن المال هو لكثيرين سبب خطيئة. فاحذرْ من أن يؤول بك ذلك إلى فقدان أولادك إذ تغويهم الخطيئة. ومن ناحية أخرى، أليست نفسك أقرب إليك من أولادك. فأعطها إذاً الحصة الفضلى من ميراثك، فهي بذلك أولى. ثم قسّم بين أولادك ثروتك. واعلم هذا ان أولاداً كثيرين بنوا بيوتاً، وعملوا مستقبلاً زاهراً لهم، وعرفوا أن يحصلوا على كرامة واحترام الناس، دون أن يرثوا شيئاً من آبائهم. ولكن نفسك إذا لم ترأف بها أنت فمَن يرثي لحالها.

قد تقول أيّ إجحاف ارتكب إذا احتفظت بما هو ملك لي. بحقّك قلْ لي، ماذا لك، وممّن أخذته

بولس وسائر الرسل: «فسواء كنت أنا أم أولئك، هكذا نكرز وهكذا آمنتم». لا يتّخذ كلام الرسول هذا أبعاده كلّها إلاّ متى أدركنا أنّه كان على خلاف مع بعض التلاميذ الآخرين في ما يختصّ بضرورة الختان بالنسبة إلى الوثنيّين الراغبين في الانضمام إلى الكنيسة. والمعروف أنّ بعض الإخوة كان يقول بأنّه يتعيّن على الوثنيين أن يصبحوا يهوداً أولاً، عبر الختان، قبل معموديّتهم، فيما ناضل بولس، طوال حياته، في سبيل الرأي الذي أصبح القاعدة، فيما بعد، وهو أنّ المعمودية على اسم يسوع كافية لنوال الخلاص وأن لا ضرورة أن يختتن القادمون إلى المسيحيّة من الأمم. ولكنّ بولس، هنا، لا يترك مجالاً للشكّ في أنّ هذا الخلاف لا ينعكس على المضمون الأساسيّ للإيمان. فمهما تعدّدت الآراء بالنسبة إلى ضرورة الختان أو عدمه، الرسل كلّهم يبشّرون بيسوع الذي مات وقُبر وقام وتراءى. هذه هي نواة الإنجيل التي لا تحتمل تعدّداً، وفي هذا الرسل كلهم يذيعون البشارة ذاتها، بحيث لا يبقى أيّ عذر لناكري قيامة الموتى في كنيسة كورنثوس. فالرسول، كائناً من كان وأنّى كان، يُعلن موت المسيح وقيامته. وهذان الموت والقيامة هما آية الله الكبرى التي بواسطتها أُغدق الخلاص على البشر، وهما أيضاً علامة صادقة من لدنه أنّ قيامة الموتى حاصلة، لا محالة، في اليوم الأخير.

## شهود يهوه وشفاعة القديسين

يقول الرب: «طوفوا في شوارعِ أورشليمَ وانظروا واعرفوا وفتِّشوا في ساحاتِها هل تجِدون إنساناً أو يوجدُ عاملٌ بالعدلِ طالِبُ الحقِّ فأصفحَ عنها؟» (إر ٥:١).

تلخِّص هذه الآية مفهوم شفاعة القديسين في الكنيسة إذ يقول الله لأرميا انه سوف يصفح عن مدينة أورشليم ويغفر لأهلها إن وُجِدَ فيها صدّيق واحد. هذا ما نقرأه أيضاً في كلام الرب جواباً على طلب إبراهيم منه العفو عن سدوم: «فقال الرب إن وجدتُ في سدوم خمسين باراً في المدينة فإني أصفحُ عن المكان كلّه من أجلهم» (تك ١٨:٢٦) ثم أنزل الرب العدد إلى عشرة بطلب من إبرهيم. الله يعفو إذاً برحمته عن مدينة ويخلّصها بسبب وجود قديس فيها. هذا المفهوم لشفاعة القديسين هو الذي تعلّمنا إيّاه الكنيسة في صلواتنا الليتورجية فنرتل في القداس الإلهي: «بشفاعة والدة الإله يا مخلص خلّصنا»، وننشد للقديسين طروباريات (ترانيم نصر) تنتهي في معظمها بعبارة: «... تشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا». العذراء مريم والقديسون يتشفعون بنا أمام الرب يسوع، ويرفعون الطلبات لأجلنا لكي يخلّصنا الرب يسوع ويدخلنا إلى ملكوته في اليوم الأخير. هؤلاء القديسون أكملوا الجهاد الحسن وسبقونا إلى المجد الإلهي وحازوا على القيامة الأولى (رؤ ٢٠:٥-٦) ونحن نحمّلهم صلواتنا ليقدّموها إلى الله، «لأن طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥:١٦) لدى السيد. صلواتهم هي كؤوس من ذهب مملوءة بخوراً (رؤ ٥:٨).

يعترض شهود يهوه مع البعض بأنه لا حاجة لشفاعة القديسين فالمسيح هو الوسيط الوحيد بين الله

حتى تملكه طول حياتك.

فلو كان كلّ إنسان يأخذ من أمواله ما يكفي لسدّ حاجاته ويترك الفائض عنه لمن ينقصه الضروري لما بقي غني أو فقير... أتظنّ أنّك لا ترتكب إجحافاً بحق أحد، عندما تحرم الضروري هذا العدد الكبير من المحتاجين؟ إنّ الخبز الذي تحفظه في الأقبية هو ملك الجائعين، والثوب الذي تقفل عليه الخزانة هو ملك للعراة، والحذاء الذي يتلف عندك هو ملك للحفاة...

تقول أيضاً أيّها الغني، إنّي بعد أن أتمتّع بكلّ الغنى الذي أحوزه، وأُنهي حياتي متمتعاً بكلّ لذّات الحياة، أجعل الفقراء ورثائي الشرعيين، وأجعلهم أسياداً على كل أملاكي وأرزاقي. أيها الغبي، انك ستعود لتصبح إنساناً عندما تغيب في غياهب القبر، وستصبح محباً للفقراء فقط عندما تموت. يا لك من كريم معطاء وأنت في القبر تراب ورماد. هل في حياتك عملت شيئاً لطلب المكافأة والثواب. انك لم تعمل شيئاً لنيل هذه المكافأة، فقد عشت في اللذّات، ولم تحسن إلى الفقراء، ولم تطعم الجياع ولم تشفق على البائسين. فلماذا المكافأة عند الوفاة. فأنت لا تستحق شيئاً.

**القديس باسيليوس الكبير**

والبشر، ويستندون على ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين: «ولأجل هذا هو (يسوع) وسيطُ عهدٍ جديدٍ لكي يكونَ المدعوونَ إذ صارَ موتٌ لفداءِ التعدياتِ التي في العهدِ الأولِ ينالونَ وعدَ الميراثِ الأبديِّ» (١٥:٩)، وعلى ما جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: «لأنَّهُ يوجَدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بينَ اللهِ والناسِ، الإنسانُ يسوعُ المسيحُ الذي بذَلَ نفسهُ فِديَةً لأجلِ الجميعِ» (٥:٢– ٦).

ما لا يعيه شهود يهوه ان هناك فرقاً كبيراً بين وساطة الرب يسوع وبين شفاعة القديسين. الواقع ان وساطة المسيح فريدة من نوعها فهي وساطة فداء عام. مَنْ يقرأ بتمعّن الرسالة إلى العبرانيين يلاحظ انها تتحدّث عن عمل الرب يسوع الخلاصي، ووساطته في هذا الخلاص، أي ان الكلام فيها هو عن سر الفداء الذي قام به المسيح فقدّم نفسه ذبيحة، كفارة عن جميع البشر، وبهذه الذبيحة اقتربنا من الآب. بهذا المعنى هو الوسيط الوحيد «وسيط العهد الجديد» (عبر ٢٤:١٢)، لأنه وحده مات على الصليب وسفك دمه هو لا غيره، وبواسطته نلنا الخلاص الأبدي: «فبهذه المشيئةِ نحنُ مقدَّسونَ بتقديمِ جسدِ يسوعَ المسيحِ مرَّةً واحِدةً... فإذ لنا أيُّها الإخوةُ ثِقَةٌ بالدخولِ إلى الأقداسِ بدمِ يسوعَ...» (عبر ١٠: ١٠ و١٩). وأيضاً «لأنَّه فيه سُرَّ أن يَحُلَّ كُلُّ المِلءِ وأن يُصالِحَ به الكُلَّ لنفسِهِ عامِلاً الصُلحَ بدمِ صليبِهِ بواسِطته سواءٌ كانَ ما على الأرضِ أم ما في السَّمواتِ. وأنتم الذينَ كنتم قبلاً أجنبيينَ وأعداءً في الفِكرِ في الأعمالِ الشريرةِ قد صالَحكم الآنَ في جِسمِ بشريَّته بالموتِ ليُحضِرَكُم قدِّيسينَ وبلا لوم ولا شكوى أمامه» (كو ١: ١٩–٢٢).

أما شفاعة القديسين فهي من نوع خاص لا يتعارض مع وساطة يسوع الشاملة. شفاعة القديسين ليست وساطة فداء لأنهم هم أنفسهم مفديّون، حتى العذراء مريم، إنما شفاعاتهم هي لنيل نِعَمْ روحية أو مادية يمنحها الله للمؤمنين بواسطة هؤلاء القديسين. نفوذ القديسين لدى الله هو في مواضيع خارج الفداء الشامل الذي لا يملكه إلاّ المسيح وحده. وساطة المسيح الفريدة لا تمنعه من أن يأخذ بعين الإعتبار طلبات وأدعية أصدقائه القديسين الذين أحبّوه للغاية، فيكرّمهم بالإستماع إليهم والإستجابة لطلباتهم: «فقالَ بُطرُسُ ليسَ لي فضَّةٌ ولا ذَهبٌ ولكن الذي لي فإيَّاهُ أُعطيكَ. باسمِ يسوعَ المسيحِ الناصريِّ قُمْ وامش... فوثَبَ ووقفَ وصارَ يمشي ودخلَ معهما إلى الهيكل وهو يمشي ويطفرُ ويُسبِّح الله» (أع ٦:٣– ٨). القديسون قادرون إذاً على اجتراح العجائب باسم يسوع، وهذه هي النقطة التي يجب التركيز عليها. ان قدرة القديسين ليست من ذاتهم بل من الرب. الرب يسمح أن تُجرى على أيديهم العجائب. كيف لا وهو وعد الرسل بأنه إذا كان لديهم إيمان مثل حبة الخردل يستطيعون نقل الجبال (متى ١٧: ٢٠).

في العدد المقبل، بنعمة الرب، سوف نعرض عدداً من الأحداث في الكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، حيث تظهر شفاعة القديسين وقدرتهم على استدرار نِعَمْ الله علينا.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**